المناظرات والإنشادات

في رحلات المغاربة الحجازية

إعداد

الدكتور: عبد السلام بن المختار شُقور

أستاذ التعليم العالي – قسم الدراسات العليا

جامعة عبد الملك السعدي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

تطوان – المملكة المغربية

بحث مقدم إلى ندوة

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

ملخص البحث

كان ركب الحاج المغربي بمثابة إمارة متنقلة تخترق الجبال والقفار، لها أمير وأجناد تسهر على سلامة الركب، وبها تجار وعلماء وأدباء، وغيرهم من عامة الناس.

وقد حرص مدونو الرحلات الحجازية من المغاربة على تسجيل أخبار الركب، وسرد وقائعه، مع عناية خاصة بذكر أخبار العلم و العلماء، والأدب والأدباء، إذ كان لقاء الشيوخ بغرض الأخذ عنهم ، والسماع منهم هو الهدف الثاني الذي كانوا يرومون تحقيقه بعد أداء فريضة الحج ...

ولا يخفى ما في تلك المواد الفهرسية والأدبية التي تحفل بها الرحلات من أهمية في التأريخ للحياة العلمية والأدبية في العالم الإسلامي، في تلك المجالس الأدبية والعلمية كانت الأسانيد والمرويات وأخبار العلم والعلماء تنتقل من قطر إلى قطر، ومن غرب العالم الإسلامي إلى شرقه، فكانت تلك الأسانيد بمثابة شرايين في جسم الأمة ينتقل عبرها العلم والشعر.

وسينصرف بحثنا إن شاء الله تعالى، إلى تتبع المناظرات والإنشادات التي كانت تحفل بها مجالس العلم في لقاء المشايخ ببعضهم قاصدين تحقيق الأهداف الآتية:

- الإسهام في تاريخ الحياة العلمية والأدبية، في غرب العالم عامة، وفي الحجاز خاصة وذلك لكون جل تلك المناظرات والإنشادات

كانت تقع في الحجاز، وبعضها في الطريق إلى الحجاز.

من المعروف أن أقلاما حررت آلاف الصفحات في تاريخ الحرمين الشريفين، وفي غيرهما من الأقطار التي تقع في طريق الحج إلا أن العناية كانت تنصرف إلى تراجم الرجال مع سرد أحوالهم باختصار.

فلم نجد أحدا أوقف بحثه على نصوص المناظرات والإنشادات في الرحلة الحجازية بغرض تحليلها وتقييمها، وتحديد القضايا التي كانت تشغل بال علمائنا وشعرائنا، انطلاقا من نصوص تقدم تواصل العلماء والشعراء على اختلاف مذاهبهم وأمصارهم.

ومن المعروف كذلك أن البحث في تراثنا كثيرا ما يجزّئ العالم الإسلامي لاعتبارات أكاديمية أو غيرها فينظر الباحث في كل قطر في حدود ما انتهى إليه التوزيع السياسي والجغرافي. وقد فوت ذلك علينا هذه النظرة الشاملة التي تتخطى الحدود الجغرافية لقضايانا.

و قد أبان البحث عن أنماط من التواصل لا تبرزها غير هذه النصوص، نعني نصوص المناظرات و الإنشادات.

- بيان مناهج قدمائنا وأساليبهم في المناظرة والحوار وهي مناهج وأساليب، تحتكم في الأساس إلى قواعد العلم وأصوله، وإلى العلاقات الحميمية التي تشد المسلم إلى أخيه.
- و من ثم فإن البحث دعوة إلى إحياء تقاليد علمية وأدبية نفتقدها في زمننا هذا في موسم الحج لأسباب كثيرة. فقلما يلتقي العلماء والأدباء، وتضيع بذلك منافع لعلها من ضمن ما

أشار إليه الله عز وجل بقوله ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾[١].

ولتحقيق ذلك كلّه أو بعضه، سرنا وفق الخطوات الآتية:

- المناظرات في رحلات المغاربة الحجازية بتحديد مفهوم المناظرة: مناظرة يقصد منها تصحيح الفهم وسلامته، ومناظرة يراد بها إقناع المناظر أو المحاور ...، القضايا المطروحة في المناظرات، مناهجهم وأساليبهم في المناظرات، أشهر أعلام المناظرات... نماذج من المناظرات.

تقييم واستنتاج

- الإنشادات في رحلات المغاربة الحجازية: وظائف الإنشادات، أنماط الإنشادات: إنشاد يتضمن استجازة (أي طلب الإجازة،ويعبر عنه بالاستدعاء)أو إجازة، إنشاد تمليه الغربة والحنين ... تناسل الأبيات الشعرية في الإنشادات، أساليبهم في ذلك كله، أشهر شعراء هذا الفن في الرحلة.

تقييم واستنتاج

استنتاجات عامة :

لقد وقع الاختيار على أربع رحلات، اثنتان منهما من آثار القرن السابع، وفيه كانت الثقافة المغربية على قدر كبير من التوهج بفضل من هاجر إليها من علماء الأندلس والثالثة من القرن الحادي عشر وهو

[١]- سورة الحج الآية ٢٦

قرن كانت الثقافة المغربية نهضت من كبوتها بفضل جهود المشايخ في البوادي المغربية من أصحاب الزوايا والرباطات.و الرابعة من الثالث عشر، و هو عصر الانحطاط في تاريخ المغرب .

وانتقينا أربع نصوص لأشهر المناظرات، وكان علينا أن نتتبّع بدقة نصوص الرحلات الأربع المذكورة، وذلك بحيث تقدّم تلك النصوص صورة للثقافة الإسلامية والعربية في جلّ علومها واتجاهاتها.

وقد مهّدنا لذلك كلّه بتحديد صور المناظرات وحددنا أهم الأدلة التي يقوم عليها الاختلاف بين العلماء، وهي الأدلة النقلية والأدلة العقلية والأدلة الذوقية، وعمدنا إلى إيراد نصوص تلك المناظرات وتعمّدنا إيراد النص كاملا إذا لم يكن منشورا، وقد جرى تقديم نصوص تلك المناظرات والتعقيب عليها انطلاقا مما قررناه في المدخل النظري، الذي بحثنا فيه عن أنواع الأدلة عند النظار بقدر ما يفيدنا وانتهى البحث إلى النتائج الآتية:

في مبحث الإنشادات قمنا بتحديد المفاهيم المشتركة بينها، وأوردنا نماذج منها، ولم نقصد إلى الإكثار حتى لا نخرج عن القصد، والإنشادات كثيرة في الرحلات.

والإنشادات كما بدت لنا تتحدد وظائفها وغاياتها فهي داخلة في باب الإجازة والسند، وهي صلة بين الشيخ والشيخ، وبين الشيوخ وطلبتهم، وهي بعد ذلك حلية الرحلة وطرفتها، وهي إلى جانب ذلك راحة الكاتب والقارئ، إنها ظلال يستريح عندها القارئ، وهي باختصار وجه إنساني.

مقدمـــة :

يقـوم هـذا البحـث علـى دراسـة لنـصوص المنـاظرات والإنـشادات الـواردة في الـرحلات الحجازيـة المغربيـة، وقـد اخترنـا أربـع رحـلات تعـد هـي دون شـك أشـهر الـرحلات الحجازيـة المغربيـة وأكبرهـا حجمـا ونفعـا، ويتكون البحث من قسمين:

- قـسم يعنـى بالمنـاظرات العلميـة وفيـه تتبعنـا تلـك المنـاظرات في الرحلات الآتية:
- الرحلـة العبدريـة لابـن عبـد الله محمـد بـن محمـد بـن علـي بـن أحمـد بن مسعود العبدري[1].
- مـلء العيبـة بمـا جمـع بطـول الغيبـة ... لابـي عبـد الله محمـد بـن عمـر بن محمد بن عمر ... ابن رشيد الفهري السبتي[2].
- ماء الموائد المعروفة بالرحلة العياشية لأبي سالم العياشي[3].
- الرحلـة الناصـرية الكـبرى لأبـي عبـد الله محمـد بـن عبـد الـسلام بـن عبـد الله بـن محمـد الكـبير بـن الـشيخ محمـد بـن ناصـر شـيخ الزاويـة الناصرية[4].

---

[1] - أبو عبد الله العبدري الحاحي المغربي من القرن السابع. تنظر ترجمته في كتابنا: الشعراء المغاربة في العصر المريني ص١٠٦، وكذا في المصادر المحال عليها فيه.

[2] - أبو عبد الله محمد بن رشيد السبتي، من أعلام القرن السابع وبداية الثامن، كانت وفاته ٧٢١هـ. تنظر ترجمته في كتابنا المذكور سلفا ص١٥٥، وكذا في المصادر المحال عليها فيه.

[3] - أبو سالم العياشي، من أعلام المغرب من القرن الحادي عشر، توفي سنة ١٠٩٨هـ. تنظر ترجمته في مقدمة النشر المصورة للرحلة، وهي منشورة على طريقة التصوير على طبعة حجرية مغربية.

[4] - أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي، توفي سنة ١٢٣٩هـ. تنظر ترجمته في المصادر العربية لتاريخ المغرب للأستاذ محمد المنوني ص٣٣. الرحلة مخطوطة. وقد عدنا إلى نسخة مرقونة انظره كذلك.

والمعتمـد في البحـث المـنهج الـذي ينطلـق في التحليـل مـن الـنص أولا ثـم لا يـذهب في التأويـل بعيـدا ، وهـو مـنهج نـصي إن صـح التعـبير تحليلـي تـاريخي، يأخـذ المفـاهيم المـأخوذ بهـا في دراسـة التـاريخ الثقـافي مـن دون تعسف ولا إسقاط لآراء قليلة .

والله الموفق للصواب

***

المناظرات و الإنشادات

التحديد المعرفي و المنهجي:

كان ركب الحج المغربي بمثابة إمارة متنقلة ، تخترق الجبال و القفار، لها أمير وأجناد يقومون على حراسة الركب،و في الركب تجار وعلماء وأدباء وغيرهم من عامة الناس[١].

و كان لأركاب الحج المغربي طريق إلى الحجاز مشهور، ومنازل للوقوف و تجديد الزاد، و للمتاجرة و غير ذلك معروفة، و في كل منزل ينصرف الحجاج إلى قضاء حوائجهم.

أما العلماء و الأدباء منهم، فإنهم كانوا بعد قضاء الحوائج الضرورية لمعاشهم، يسارعون إلى لقاء الشيوخ من أهل العلم والأدب بقصد الأخذ عنهم، والسماع منهم ،

و يحرصون كلّ الحرص على الحصول على المرويّات النادرة، و الأسانيد العالية، يستعدّون لحضور مجالس العلم لتصحيح أسمعتهم، و تحقيق حسن فهم للمسائل العلمية الدقيقة.و عادة ما كانت تطرز مجالسهم العلمية بنوادر من القول و بطرائف من الأخبار.

و إذا كانت الرحلات الحجازية جؤنة عطار ، و كشكول أخبار تلتقي فيها ألوان من المعارف تخص الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و العلمية، وهكذا فالبحث في الرحلة الحجازية يتفرع

---

[١] ركب الحج المغربي للأستاذ محمد المنوني رحمه الله و قد فصل القول و ألف الكتاب المذكور في مكونات أركاب الحج و تنظيماته

فيما نرى إلى ما يلي:

أ – أخبار تهم الباحث في التاريخ الطبيعي والبشري للحجاز، والطرق المؤدية إليه .

ب – أخبار تهمّ الباحث في التاريخ الاقتصادي و السياسي للشعوب الإسلامية في الحجاز، و في الطرق المؤدية إليه .

ج – أخبار تخصّ مؤرخ الحياة العلمية و الثقافية للشعوب الإسلامية .

و من الواضح أنّ بحثنا يندرج ضمن الصّنف الثالث ، على أنّ عنايتنا ستقف عند واحد من روافد الحياة العلمية و الثقافية.

و تنفرد الرحلة الحجازية[١].بالقدر الكبيرمن النصوص المفيدة في تأريخ الحياة العلمية والثقافية بصفة عامة.

و تجدر الإشارة إلى أن الدراسات التي أنجزت إلى حدّ الآن في تاريخ الفكر العربي الإسلامي لم تفد من هذه النصوص كما أفادت من روافد علمية هامة[٢].

---

[١] لقد انتهى البحث في الرحلة إلى تصنيفها بحسب الهدف من الرحلة، و من ثم قالوا الرحلة الحجازية و هي التي يكون الحجاز قصد الراحل ، و الرحلة السفارية:وهذا اصطلاح مغربي يطلق على نمط من الرحلات تكون السفارة من أهدافها .وغالبا ما تتم إلى خارج العالم الإسلامي بهدف أداء فريضة الحج و الرحلة السفارية و يكون الدافع إليها القيام بالسفارة أن هذا التصنيف ضيق، فهناك ضروب من الرحلات لا تندرج تحت أي صنف من الصنفين المذكورين.

[٢] إن الدراسات التي أرخ أصحابها بها للفكر الإسلامي اقتصر على روافد قليلة، على رأسها الرافد الذي تمثله التصانيف في الأبحاث الكلامية و المعتقدات و أهملت روافد عديدة منها الرافد الفقهي كما تمثله المذاهب الفقهية من مبادئ تقوم عليها، و ما تتضمنه من قواعد فقهية، كما أهملت الرافد الذي =

على أن أهمّية النصوص التي تفردت بها الرحلات المغربية الحجازية لا تكمن في ندرتها ، إنما تكمن في كونها تقدم غرب العالم الإسلامي في تواصل و تفاعل من خلال المناظرات و الإنشادات و عبر انتقال الأسانيد و المرويات.

ومن المؤكد أن المراكز العلمية التي تنقل الرحلات العلمية أخبارها وجلّها في الحجاز، وبعضها يقع في الطريق إليه حظيت بتآليف و دراسات قديما وحديثا.

على أن توظيف نصوص الرحلات الحجازية في ذلك إنما كان يقتصر في الغالب على ما تقدمه تلك الرحلات في باب تراجم العلماء، و تواريخ الرجال. وتراجم الأعلام لا تفي وحدها بتشخيص " الحركة العلمية و الأدبية" ، إن أهمّية المترجم به والموجب للعناية بترجمته إنما تنبع من أهمّية الأثر العلمي والوقوف على ذلك الأثر لا يتأتّى بتسمية المصنّفات و سرد حياة المترجم بهم.

وهكذا لم يتح الانتفاع بنصوص الرحلات الحجازية ولا بنصوص الرحلات عموما في التأريخ للفكر العربي و الإسلامي[١].

=

تمثله علوم الحديث بها على الرغم مما تقدمه هذه العلوم من مناهج و مصطلحات أفادت منها حقول معرفية عديدة .

[١] إن الدراسات التي غنيت بالفكر الخلدوني لم تفد من المعلومات القيمة التي تقدمها رحلته الحجازية، و منها ما يفيد في الكشف عن منابع ذلك الفكر و أصوله، و الإشارة هنا إلى حديث ابن خلدون عن شيوخه و أسانيده في أماكن من رحلته، و كانت تلك المعلومات مصدرنا في بحثنا عن التواصل العلمي بين بلدان المغرب العربي

إن النصوص التي هي على شرط هذا البحث، و هي نصوص المناظرات و الإنشادات لا تمثل إلا رافدا من الروافد التي تكون الرحلة الحجازية، و لكنها مع ذلك تغذي بتتبعها و بتحليلها رغبة في تقديم إضافات لعلّها تسدّ ثغرات موجودة في تاريخ الحركة العلمية و الأدبية في الحجاز و في الأقطار الواقعة في طريق الحج.

وعلى الرغم من العناية التي لقيها أدب الرحلة في السنوات الأخيرة، فإنّ الدراسات في الموضوع التي وقفنا عليها اكتفت بسرد الوقائع واختصار الرحلات ، و لم تول النصوص المكوّنة لمتن الرحلة مثل نصوص المناظرات و الإنشادات بالتحليل المطلوب[١].و المأمول أن يكشف التتبع الدقيق لهذه النصوص بالفحص والتحليل إلى استنتاجات تعزّز البحث في التراث العربي الإسلامي وأن تقربنا أكثر إلى خصوصيّة هذا التراث من حيث الوقوف على مكوّناته وعلى العناصر الفاعلة فيه.

و لا يخفى أنّ البحث في موضوع المناظرات و الإنشادات في الرحلات الحجازية المغربية دعوة إلى إحياء تقاليد علميّة، و سنن سنيّة سار عليها أجدادنا في رحلاتهم إلى الحجاز، ثم في الحجاز في الحرمين الشريفين، إذ كان لقاء العلماء والأخذ عنهم بقصد التوسّع في الرّواية وتصحيح فهم ما أخذوه في بلدانهم. الهدف الثاني الذي كانوا يرومون إصابته بعد أداء فريضة الحج، و لعلّ عملهم هذا داخل في المنافع التي أشار إليها الله عز و جل في قوله تعالى : ﴿ ليشهدوا منافع لهم ﴾ وذلك

[١] من الدراسات التي خصت بها الرحلة المغربية: رحلة ابن رشيد السبتي دراسة وتحليل د/أحمد الحدادي .

ما أشرنا إليه في صدر هذه الورقات.

و تحقيقا لتلك الأهداف أو لبعضها على الأقل ارتأينا السير في البحث طبقا للخطوات الآتية.

- المناظرات العلمية في رحلات المغاربة الحجازية .للمناظرات عند قدمائنا قواعد علمية و آداب مرعية[١].

و لذلك تتطلّب إحاطة بعلم المناظرة و معرفة بقواعد المناظرات و إحاطة بآداب المناظرة. و قد يرد عندهم لفظ " المناظرة" للتعبير عن طريقة من طرق التعلم و ضرب من ضروب الأخذ ، و لذلك كانوا يقولون : العالم الشيخ ، جلس للمناظرة عليه في كتاب كذا... و من ذلك ما ورد في ترجمة القاضي عياض رحمه الله قال : و يفهم من ذلك أن المناظرة في العلم لا تتأتى إلا للراسخين فيه، و غايتها إيضاح المعاني المنبهمة وتصحيح المفاهيم التي تحتاج إلى تصحيح لإزالة كل إشكال و التباس عندما تدق معاني العلم و تتشابك و يقع الوهم أو الإيهام .

على أن المعنى الذي سنأخذ به هو المرادف للحجاج و الجدال بقصد الدفاع عن رأي أو نقض رأي، و هذا هو المعنى الشائع ، و المتأمل في المناظرات يجد أن أساس الخلاف العلمي بين المتناظرين يرجع إلى أصلين اثنين :

- الأدلة النقلية والخلاف في ترتيبها ، ومن المعروف أن الأدلة

[١] راجع "تاج العروس" مادة "نظر "

النقلية ليست واحدة في جميع العلوم، فالأدلة النقلية في علوم اللغة ليست هي الأدلة النقلية في العلوم الشرعية.

ثم إن الاختلاف قد يحصل في ترتيب تلك الأدلة النقلية حتى في نفس العلم، وذلك من أسباب تمايز المذاهب الفقهية.

و نفس الأمر يمكن قوله بخصوص علوم اللغة .

- الأدلة العقلية: إن قدرات الناس في الفهم متفاوتة كما هو معروف ، وعلى الرغم من كون – أقول على الرغم – من كونهم طوّروا علما من شأن أن يضيق الخلاف بين فهم و فهم من خلال علم المنطق، فإنّ دوائر الاختلافات الممكنة في الفهم هي قوة ذلك، و ليست في متناول علم من العلوم.

أضف إلى ذلك أمرا ثالثا هو أيضا منبع لتباين وجهات النظر ، و هو لذلك أساس تقوم عليه المناظرات، و نعني بذلك الخلاف بينهم في تقديم هذا الدليل أو ذاك ، أي بين اعتماد الدليل النقلي أصلا و العقلي فرعا ، أو اعتبار الدليل العقلي أصلا و النقلي فرعا. وهذا هو موضوع الإشكال الذي يطرحه من يعرفون بالفلاسفة المسلمين.

الدليل الذوقي : و يقول به المتصوّفون خاصّة ، و هو دليل يقوم على أساس تجربة ذوقية فردية ، و من خلال هذا الدليل و اعتمادا عليه دلل المتصوفة على آرائهم .و الدليل الذوقي لا يتعارض مع النقلي و لا مع العقلي و الحسي.

وهذا التصنيف إنما هو باعتبار الصفة الغالبة وإلا فإن هناك تداخلا بين أصناف الأدلة واشتراكا بينها أحيانا .

المناظرات: نصوص و تعليقات.

المناظرة الأولى: مناظرة كلامية[1]

موضوع هذه المناظرة : قضية كلامية ، و قد شغلت هذه القضية المتكلمين مدة غير قصيرة ، وليس من شرطنا عرض ما قدمه المتكلمون فيها على اختلاف مذاهبهم، وحسبنا الإشارة إلى أن المتتبع لها في تراثنا سيجد مواقف ثلاثة :

- إثبات الصفات على ظاهر لفظها وهو رأي المثبتة.
- إثبات الصفات على غير كيف معروف، و هو رأي أهل السنة.
- تأويل الصفات تأويلا عقليا و هو رأي المعتزلة.

وهذا التقسيم إنما روعي فيه التبسيط،وإلا فإن في الأمور المذكورة كلاما كثيرا لا يتسع المقام له.

و كان المغاربة مثل سائر أهل السنة يرميهم خصومهم بالمثبتة إلى أن ظهر أبو الحسن

الأشعري فهم بآرائه يحتجّون[2]. و لم يحد أهل المغرب عن آراء أبي الحسن في العقائد قيد أنملة، و قد قنعوا بما ورد عليهم منه، فلم يكلفوا أنفسهم عناء النظر في العقائد واكتفوا بنظم متون على

[1] ماء الموائد (الرحلة العياشية) لأبي سالم العياشي ج١/ - ص٢٤٧ : و الرحلة طبعت على الحجر ثم أعيد طبعها بالتصوير عن الطبعة الحجرية مع إلحاقها بالفهارس و التقديم لها بترجمة صاحب الرحلة و هو أبو سالم العياشي .

[2] القاضي عياض الأديب ص٢١.

مـذهب الأشـعري وشـرحها [١] ، و لم يكـن أبـو سـالم العياشـي و هـو مـن أهـل القـرن الحـادي عـشر ليقبـل رأيـا يخـالف مـا اسـتقر عليـه أهـل بلـده يعـني مـذهب الأشـعري ، وكـان المـذهب الأشـعري قـد اسـتقر في المغـرب منـذ القـرن الخـامس للـهجرة، ذلـك كـان منطلـق الخـلاف في هـذه المناظرة.

أورد أبـو سـالم العياشـي رحمـه الله في أخبـار مدينـة الرسـول صلى الله عليـه وسلّم جملـة مـن الأخبـار [٢] ، فـذكر جملـة مـن المواقـع منهـا آبارهـا و أوديتهـا، ثـمّ اسـتطرد إلى ذكـر مـا أقـرأه هـو في المدينـة، ثـم توقـف عنـد حـدّ مذاكرتـه مـع بعـض المعتزلـة، و هـي موضـوع هـذه المناظرة

قـال أبـو سـالم : " بينمـا أنـا ذات يـوم بـالحرم الـشريف، و معـي رجـل مـن الـشرفاء مـن أهـل المغـرب ، و بـين أيـدينا كتـب منهـا سـفر مـن الفتوحـات المكيـة و سـفر مـن المحاضـرات و المـسامرات، كلاهمـا للـشيخ محيـي الـدين [٣] إذ جلـس رجـل مـن أصـبهان زعـم أنـه شـريف، أظنّـه في سنّي...فقـال لـصاحبي : أنـت مـن طلبـة العلـم؟ لمـا يـرى مـن حـسن سمـتي و نـدارة ملبـسي ، فأشـار صـاحبي إلـي فأخـذ يـسألني عـن الكتـب الـتي بـين يـديّ، فـسررت إليـه حـين زعـم أنـه شـريف ، و زعـم أنـه مـالكي المـذهب،

[١] اشتهرت عندهم متون منها: عقائد السنوسي

ماء الموائد : ج١ – ص٢٤٧

[٢] ماء الموائد ج١/ ٢٨٦

[٣] محيي الدين ابن عربي الحاتمي صاحب الفتوحات المكية وعشرات التصانيف أندلسي رحل إلى المشرق ودفن في الشام سنة ٦٣٨هـ (انظر ترجمته في عنوان الدراية ص ١٥٦ وما بعدها .

فسألته عمّا يقرأ من كتب المذهب، فتبيّن لي كذبه، ثم أخذ يسألني ولم أعرف سوء معتقده، فكان مما قال لي أن قال : ما معنى اللّه ؟ و لم أفهم سؤاله، فقلت: علم على الذات الواجب الوجود إلى آخر ما يقال في ذلك، فقال: ما معنى القلم ؟ فأجبته ، و كانت في كلامه لكنة أعجمية، و كان يريد غيرما أجيبه به، ثم تأمّلت كلامه فإذا هو يريد البحث في مسألة الاسم هل هو عين المسمّى أو غيره ؟ فتكلّمت معه في ذلك بما لأئمّتنا من التفرقة بين معنى الاسم و المسمّى و التسمية، و أنّ الخلاف في ذلك عند المحققين يرجع إلى وفاق ، ثم انتقل إلى الكلام في مسألة إثبات الصّفات، فشممت منه رائحة إنكارها، بل صرّح بذلك، إلى أن قال :" هم يزعمون كذا، و أنّ المعنى الوارد في إثباتها كذا و أن إثباتها يؤدي إلى كذا و كذا . . . وكلّما أقيمت عليه حجة في إنكار إثباتها ، و ردّ ما استدلوا به على نفيها يقول : لو كنت تفهم العجمية لأجبتك ، و كان لسانه بالعربية فيه بعض الثقل، و على كل حال له مشاركة حسنة قوة بحث في المعقولات على مذهب أهل الاعتزال، إلا أنني بحمد اللّه لم يورد عليّ إشكالا في معتقد السنة إلا نقضته و أزلته، فلا يكون له جواب إلا ما تقدم من التعلل بعدم معرفتي بلسانه، فكان آخر ما قلت له: نحن معاشر أهل السنة والجماعة نجعل معتمدنا في العقائد الدينية الأدلّة النقلية من الكتاب و السنّة الصحيحة الموافقة للأدلّة العقلية، نردّ ما خالف الكتاب من مقتضيات المفهوم و الآراء،و نقدّم رأي (كذا في النص) صاحب الشريعة صلى اللّه عليه و سلم و فهمه ، ورأي السلف الصالح و فهمهم على آرائنا وأفهامنا ، ونتّهمها في ذلك، و أنتم

بالعكس تحكّمون عقولكم فتحمّلون الأدلّة الشرعية كلّها المقطوع بها على ما يوافق أهواءكم و آراءكم و تصيّرون المتبوع تابعا ، والتابع متبوعا. فشتان بين من يحكّم الكتاب و السنّة على عقله ورأيه، و يردّ ما خالفهما إليهما بتأوّل تشهد له اللغة ...و بين من يحكّم عقله ورأيه، فيحمّل عليهما الكتاب والسنة بتكلّف وتعسّف، و يتّخذ إلهه هواه و معبوده موهومه، فكادت أصواتنا أن ترتفع حتى اجتمع إلينا ناس ممّن بالمسجد، و يمنعني من الوقوع به و الإغلاظ عليه بعد .. انتسابه إلى أهل البيت.

ثم تكلّم في مسألة الكلام فأقيمت صلاة العصر فقمنا إلى الصلاة وافترق المجلس"[١].

يرد هذا النصّ الهام تحت عنوان : " غريبة "، في الحيّز الذي خصّصه أبو سالم لأخبار مدينة رسول الله.

و يمكن تصنيف تلك الأخبار بحسب ما يلي :

- أخبار المعالم الكبرى للمدينة المنورة،و فيها حديثه عن المزارات وغيرها من المواقع.

- أخبار أركاب الحج، منها ركب الحج الشامي و العراقي و المصري ، ويتخلل ذلك فوائد هامّة.

- أخبار تتعلق بسكان المدينة المنورة و بحياتهم، و بها معلومات قيّمة عن الحياة الاقتصادية و الاجتماعية.

---

[١] ماء الموائد ج١/ ٢٨٢- ٢٨٣.

و أبو سالم لا يكتفي بالوصف، بل ينتقد ما يراه ممّا لا يوافق عليه، و يمجّد ما يراه أهلا للتمجيد.

– أخبار العلم و العلماء، و ضمن هذا الصّنف ترد هذه المناظرة. إنّ تحليل مكوّنات هذه المناظرة الهامّة يوقفنا على صورة من صور المناظرات التي كانت تجري في أحد الحرمين الشريفين في موسم الحجّ، و بذلك يتأكّد أنّ موسم الحج كان مناسبة للقاء العلماء و الحوار فيما بينهم على اختلاف مذاهبهم و أمصارهم.

تجري وقائع هذه المناظرة في المدينة المنوّرة في مسجد رسول الله صلّى الله عليه و سلم، كما يفهم من سياق الحديث عنها ، وفي موسم من مواسم الحج، و بين رجلين أحدهما من أقصى الغرب الإسلامي ، و الثاني من أقصى الشرق الإسلامي ، الأوّل من قبيلة آيت عيّاش وهي قبيلة بربرية أو أمازيغية كما يقال ..... تقع في الأطلس الكبير في بادية نائية بعيدة كلّ البعد عن أسباب التمدّن، و مع ذلك كانت تلك القرية كما تشهد بذلك الخزانة العلمية العامرة بالمخطوطات إلى حدود يومنا هذا أحد المراكز العلمية، وقد أنجبت تلك القرية أو " المدشر" بلغة أهل المغرب علماء ذاعت شهرتهم شرقا وغربا، منهم أبو سالم صاحبنا، و يكفي في ذكر بيان مكانته العلمية أن يكون من كبار العلماء الذين أقرأوا داخل المسجد النبوي – كما ذكر ذلك بنفسه – حديث الشمائل المحمّدية، و لا يتصدّر عادة للإقراء داخل المسجد النبوي إلا الجهابذة من العلماء.

و أما الرجل الثاني فهو – فيما زعم – شريف من أصبهان، و

إذاكان العياشي يخالفه في الرأي إلاّ أنّه مع ذلك لم يمنعه من أن يعترف بعلمه، و تلك إشارة لطيفة تدلّ على ما كان يتحلّى به أبو سالم من خصال حميدة ، و ذلك أدب من آداب المناظرة، فالخلاف في الرأي لا يوجب الطعن في المخالف و لا التنقيص من علمه دون موجب .

التقى الرجلان المتناظران في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم في مجلس من مجالس العلم، إذ كان أبو سالم يتذاكر مع جليسه و هو طالب مغربي في شؤون من العلم تخص تأليفين من تآليف ابن عربي الحاتمي ،وكان زمن هذا المجلس العلمي قبيل صلاة العصر.

أما موضوع المناظرة فهو كما حدده أبو سالم " إثبات الصفات " .

و لا يتصوّر حصول اتفاق بين سنيّ و معتزلي في هذا الموضوع لاعتماد كلّ منهما أدلّة غير تلك التي يعتمدها الآخر ، إنّ الإنصاف في مشاكل الخلاف في هذا الموضوع يدعونا إلى تحديد أسباب ذلك الخلاف، إذ لعلّنا لسنا ملتزمين في بحثنا هذا بتقديم رأي شخصيّ في الموضوع، و الأصل في الخلاف تقديم الدليل النقلي على الدليل العقلي أو تقديم الدليل العقلي على النقلي. و قد سبق أن أشرنا في حديث التوطئة التي مهدنا به لهذه المناظرة إلى أنّ أصل الخلاف يرجع لطبيعة الدّليل المعتمد ، و ذكرنا أن هناك أصنافا ثلاثة من الأدلة. وقد أحسن أبو سالم إذ حدّد بدقّة كبيرة أسس الخلاف، و هي كما ذكر الفرق بين اعتماد هذا الدليل أو ذاك أساسا.و قد تعمّد أبو سالم رحمه الله

عدم إيراد كلام محاوره، و اكتفى بقول : قال:كذا و كذا ...و ذلك فيما نرى تجنّب منه لإثبات ما لا يقول به في كتابه، و حرصا منه كذلك على عدم إشاعة حجج المعتزلة[١].

و قد تضمّنت هذه المناظرة إلى جانب القضية الجوهرية إشارات لا تدخل في صلب الموضوع[٢].

***

المناظرة الثانية : مناظرة فقهية

وموضوع هذه المناظرة البيع بالإشارة .

كانت الإسكندرية إحدى المراكز العامّة في طريق الحجاج المغاربة ، فكان العلماء في الرّكب المغربي يهتبلون فرصة وصولهم إليها و نزولهم بها ليبحثوا عن الأشياخ لمجالستهم و الإفادة منهم، من أولائك ابن رشيد السّبتي، و بعده أبو عبد الله العبدري ، و قد ذاعت

---

[١] و قصة المغاربة مع المعتزلة تستحق التتبع، و ابتدأت مع القاضي عياض رحمه الله، إذ ذكروا أن عياضا استجاز الزمخشري فرفض إجازته معللا رفضه بكونه لا يجيز أحدا ، وعلّق المغاربة على ذلك بقولهم الحمد لله الذي لم يجعل لهذا المبتدع فضلا على عياض ،و أمّا كتابه" الكشّاف " فإنّهم طرحوه بعد أن اختصر و أتوا على ما فيه من دقائق العلوم و لطائف الفهوم .

[٢] منها التقدير الكبير الذي يكنّه أبو سالم للشرفاء، و قد كان الشرفاء في زمنه محط عناية خاصة من قبل السلطان المولى إسماعيل(ت ١١٥٦هـ) و غدوا عنصرا من عناصر التوازن السّياسي ، و لذلك أمر السلطان خدامه بوضع دواوين خاصة للشرفاء، و انتهت إلينا منها جملة أشهرها شذور الذّهب لابن رحمون، و قد يكون من المفيد الإشارة إلى أن الانتساب إلى رسول الله " غدا امتيازا اجتماعيا في المغرب منذ القرن الثامن، و على الرغم من التقدير الكبير من المغاربة لآل البيت فإنهم لم يذهبوا في حجاجهم إلى حد التشيع المذهبي المعروف .

شهرة رحلتيهما بما حوتاه من علم مع اختلاف في عناية كلّ منهما بهذا العلم أو ذاك، فكان ابن رشيد لا يعنى في الغالب إلا برواية الحديث، بينما كان العبدري يعنى إلى جانب ذلك بدقائق العلوم مما يدخل تحت باب الدراية، وفي الإسكندرية لقي العبدري الشيخ زين الدين أبا العباس أحمد بن تاج الدين عبد الله محمد بن غازي بن أحمد بن عبد الله الواسطي، وقد جرت مناظرة بمحضر زين الدين المذكور بين العبدري وأحد شيوخ الشافعية :قال أبو عبد الله محمد ابن مسعود العبدري رحمه الله :

« ومما قضي كلامي فيه بالإسكندرية مسألة البيع بالإشارة، كنت في أول يوم اجتمعت فيه بالفقيه زين الدين حفظه الله ألفيت شيخنا من طلبة الشافعية يقرأ عليه كتابا من كتبهم فقرأ هذه المسألة، و أنه لا ينعقد بها إلا لمن يتعذر عليه الكلام كالأخرس،فقلت له: إن كان هذا لأن الإشارة عندكم محتملة، فقولوا: لا ينعقد إلا بالنصّ الذي لا يتطرق إليه احتمال البتة، و هو يعزّ وجوده مع أنكم لا تقولون به ، فرام الجواب و لم يأت بشيء و زيف الفقيه جوابه ثم أجاب أيضا بأنه إنما انعقد في حق الأخرس للضرورة إلى بيعه و شرائه، و لا يمكن إلا بالإشارة ، فقلت له إن كانت الإشارة لا تدل فمن أين عرفنا قبوله أو رده؟ و إن كانت تدل فلم منعتم البيع بها في غير الخرس ؟ و قد دلت كما دل النطق فإن دلت دلت في الأخرس و غيره .و إن لم تدل لم يلزم حكم به . و كيف يلزم إخراج مال عن ملكه بغير دلالة على التزامه ؟ لذلك هذا ما لا معنى له .

و قولهم: لا يمكن البيع من الأخرس إلا بالإشارة إقرار منهم بأن لها دلالة.و نقض لقولهم في غير الأخرس .

ثم أجاب الفقيه زين الدين عن الوجه الأول و هو النقض بإيجاب البيع باللفظ الظاهر بأن الأحكام تبنى على الظاهر و ليست الإشارة في الظهور كاللفظ ، هذا معنى كلامه و هو غير منصف ،فإنّ الكلام إنما هو في الإشارة الظاهرة الدلالة ، و قد تكون أظهر في الدلالة من اللفظ فلا فرق بينهما كما ذهب إليه مالك رحمه الله ، و الله أعلم . و الأليق بالصواب على مذهب الشافعي في كون الإشارة لا تدل عنده في غير الأخرس أن يلحق الأخرس بالسفيه ، فيولي عليه من يتولى النظر في مصالحه فيبيع عليه و يشتري لتعذر توصله إلى مصالحه و هو المعنى الموجب للولاية على السفيه و لكنهم لم يقولوا ذلك و تناقضوا فيما ذهبوا إليه و الله أعلم»[1].

موضوع هذه المناظرة يتبين من نصها ، وتعمدنا إيراده كاملا ، هو الخلاف الحاصل بين المالكية والشافعية في قضية البيع بالإشارة. والخلاف بين المالكية والشافعية في الموضوع ينحصر في أن الأفعال (الإشارة والكلام) وإن انتفت فيها الدلالة الوضعية ففيها دلالة عرفية وهي كافية ، إذ المقصود من التجارة إنما هو أخذ ما في يد غيرك بدفع عوض عن طيب نفس منكما[2] ، فتكفي دلالة العرف في ذلك

[1]- الرحلة العبدرية ١٢٣ – ١٢٤ ، و انظر ترجمة الشيخ زين الدين المذكور أعلاه في نفس الصفحة من نفس المصدر .

[2]- مواهب الجليل في مختصر خليل للحطاب ٢٢٨/٤- ٢٢٩.

على طيب النفس والرضا بقول أو فعل.

على أن للشافعية نظرا آخر في الحكم على مسألة البيع بالإشارة، وهو أنهم لا يرون انعقاد البيع بالإشارة إلا لمن يتعذر عليه الكلام كالأخرس، وحجتهم فيما ذهبوا إليه أن الفعل له دلالة له بالوضع، فلا ينعقد به البيع إلا في حق الأخرس للضرورة، والحاصل أن المذهب الشافعي لا يجيز التعاقد بالأفعال في عقد البيع إلا لضرورة لأنه يمعن في الأخذ بالدلالة اللفظية، وهي أقوى عند أهل المذهب من دلالة الإشارة، على اعتبار أن الأحكام تبنى على الظاهر، وليست الإشارة في الظهور كاللفظ[1].

أما المذهب المالكي، فهو أكثر المذاهب ابتعادا عن اللفظية وأقربها إلى الأخذ بالدلالة العرفية دون الدلالة الوضعية قال ابن عاصم، رحمه الله في تحفته:

ومن أصمَّ أبكمَ العقودُ   جائزةٌ، ويشهد الشهودُ
بمقتضى إشارة قد أفهمت   مقصودَه وبرضاه أعملت
فإن يكن معْ ذاك أعمى امتنعا   لفقده الإفهام والفهم معا
كذاك للمجنون والصغيرِ   يمنع والسكرانُ للجمهور

ويتبيّن مما سبق أن الخلاف بين العبدري ومناظره يعود في أصله إلى أصول مذهب كل منهما، وبمعنى آخر إلى الأدلة التي يعتمدها

[1]- الرحلة العبدرية ص١٢٨.

هـذا المـذهب أو ذاك، وقـد انحـصر الخـلاف بـين مقـدّم للفـظ أو للـنص، وبين مقدم للعرف أو ما جرى به العمل.

وإذا كـان موضـوع المنـاظرة قـضية جزئيـة في القـصة، فتلـها بالبحـث الفقهـاء في متـونهم وحواشـيهم، فـإن مـا يهمّنـا في هـذا الـسياق إنمـا هـي الأمـور الخلافيـة وأنـواع الأدلـة المعتمـدة. والحـق أن تتبـع مثـل هـذه المنـاظرات يفـضي إلى القـول بتماسـك الفكـر الإسـلامي والعربـي في جميـع قـضاياه، وهـو تماسـك يظهـر مـن كـون جمـع المعـارف الإسـلامية والعربيـة تعـود إلى أصـول ثابتـة، وإلى تـصور واضـح ودقيـق.و فيمـا يلـي نقدّم نصّ المناظرة:

***

المناظرة الثالثة: مناظرة لغوية

قـال أبـو عبـد الله محمـد بـن محمـد بـن رشـيد الفهـري: «وممـن لقيتـه بالقـاهرة المعزيـة: الإمـام الأوحـد رئـيس النظـار المتـأخرين شمـس الملـة والـدين ناصـر الـسنة فخـر الأئمـة تـاج الملـة كـبير المـتكلمين حكـم المتنـاظرين أبـو المكـارم وأبـو المعـالي محمـد بـن محمـود بـن محمـد الأصفهاني الشافعي.

إمـام وقتـه في النظريـات والعلـم بالخلافيـات والقواعـد الـصوفيات. لـه التـصانيف البديعـة والتـدقيقات الرفيعـة. تخـرج فيمـا بلغنـا بـالأثير الأبهري، ومولده سنة ست عشرة وستمائة.

ومـن تـصانيفه "الكاشـف عـن المحـصول في علـم الأصـول" شـرح بـه

كتاب المحصول للإمام فخر الدين ابن الخطيب رحمه الله.

ولما حضرت مجلسه جرى الكلام بين يديه في قولهم: الحرف ما دل على معنى في غيره أو الحرف لا يستقل بالمفهومية. فقال ما معناه: إن مرادهم بذلك ان الحرف لا يدل على معناه المفرد إذا لم يذكر متعلقه. فضايقته في ذلك، ففسح على نفسه بأن قال: هذا راجع إلى النقل عما فهم عن العرب. وقد نقله ابن الحاجب وهو معتمد فليعتمد. فسكت؟ تأدبا ولم يقنعني الجواب وظننت أنه قصد دفعي عن المكالمة على أنه كان جميل البر حفيه وحفيله. ثم إني لما وقفت على شرحه لكتاب المحصول وجدته قد قرره هنالك كذلك. فقال: وهذا المعنى الذي حصل به الفرق بين الاسم والفعل والحرف لا يتوقف تقريره إلا على النقل. وقد نقله ابن الحاجب وهو موثوق به في منقوله ومعقوله. فعلمت أن الشيخ رضي الله عنه لم يقصد دفعي عن المكالمة.

قلت: وابن الحاجب في ذلك إنما هو ناقل عمن تقدمه من النحويين. وعبارة النحويين في ذلك: الحرف ما دل على معنى في غيره. فيقولون نحوا مما قاله ابن الحاجب، رحمه الله، في المقدمة المسماة كافية ذوي الأرب، لأنها إما أن تدل على معنى في نفسها أو لا؛ الثاني الحرف؛ والأول إما أن يكون بأحد الأزمنة الثلاثة أو لا؛ الثاني الاسم. وقد علم بذلك حد كل واحد منهما

وعبارة الأصوليين: الحرف ما لا يستقل بالمفهومية. فقال في كتاب منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل حيث تكلم أصوليا: "وينقسم المفرد إلى اسم وفعل وحرف لأنه إما أن يستقل

بالمفهومية أو لا؛ والثاني الحرف. والأول إما أن يدل ببنيته على الزمان أو لا؛ والثاني الاسم. وقد علم بذلك حد كل واحد منهما". قلت: وقد أورد عليهم الأسماء التي لا يفهم معناها دون متعلقاتها نحو كل وبعض وتحت وغير.

قال الإمام شرف الدين أبو محمّد التلمساني رحمه الله بأنا نعني بالمفهومية الإفراد فإن التقسيم في المفرد. وهذه الألفاظ وإن افتقرت إلى الإضافة فليس ذلك إلا في فهم معناها التركيبي التقييدي، وإلا فالكلية والبعضية والغيرية مفهومة من مجرد اللفظ.

قلت: وقد أقر ابن الحاجب باستشكال حد الحرف، فقال في الوافية بنظم الكافية:

فإن يكن معناه لا في نفسه فالحرف وهو مشكل في جنسه

وحاصل تحديدهم الحرف يقتضي أنهم يدعون على العرب أنها لم تضع حروف المعاني قبل الاستعمال ثم استعملتها كما قد يظن في الأسماء والأفعال أو أكثرهما، بل وضعت الحرف مقرونا بالاستعمال. ولعرض الدعوى عدلوا عن التصريح بهذا القدر. ويشبه أن يكون شيخنا بحر البلغاء وحبر الأدباء أبو الحسن حازم –رحمه الله– أراد الإشارة إلى هذا المعنى: "إن وضع الحروف في الكلام كالرباطات في الجسد التي تجمع العضل إلى العظم". هذا أو نحوه ولعسره لم يزد الإمام أبو بشر في الكتاب على أن قال، بعد تبيين الاسم بالمثال والفعل بالحد: "وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو ثم وسوف وواو القسم ولام الإضافة ونحو هذا"

توفي شيخنا الإمام شمس الدين الأصبهاني، رحمه الله ورضي عنه ونور ضريحه وقدس روح، يوم الثلاثاء الموفى عشرين لشهر رجب الفرد من عام ثمانية وثمانين وستمائة» [١].

نقف في هذا النص على آراء مجموعة من المشارقة والمغاربة في قضية لغوية هي دلالة الحرف، فقد رأينا الاختلاف الحاصل في الموضوع بين من يرى استقلال الحرف بمعناه في ذاته ومن يرى افتقاره إلى الإضافة للدلالة على معناه، ونحن إذن رأينا كل منهما يقوم على أصوله، رأي يؤسس مقاله على النقل فيما يقول أصحابه وآخر ذهب إلى ضده، ومعلوم أن دلالات الحروف صنفان: صنف تتأتى من الحرف مستقلا بذاته وصنّف دلالته تأتي من إضافة الحرف أي من سياق الحرف في الجملة، وابن رشيد يقول باكتفاء الحرف بنفسه في دلالته على معناه.

وتعليقا على هذه المناظرة يقول صديقنا الدكتور أحمد الحدادي: «مناقشة في الحرف ومعناه: لما حضر ابن رشيد مجلسا من مجالس أبي المعالي محمد بن محمود الأصفهاني، إمام وقته في النظريات والخلافيات... جرى الكلام بين يديه في قولهم "الحرف ما دل على معنى في غيره، أي: الحرف لا يستقل بالمفهومية" فقال ما معناه: إن مرادهم بذلك أن الحرف لا يدل على معنى المفرد إذا لم يذكر متعلّقه وعندما سمع ابن رشيد منه ذلك، أبدى معارضته،

---

[١]- ملء العيبة ص٣٥١- ٣٥٤.

فضايقه في المناقشة، وكأنه لم يقتنع بما ذهب إليه أبو المعالي، بالرغم من أنه ليس بين أيدينا نص تلك المضايقة وتفصيلها يرجح أن يكون ابن رشيد عرض على الأصفهاني ذلك الرأي الذي يخالف رأي ابن الحاجب وجميع النحاة فلقد أتى بهاء الدين ابن النحاس بما خالف به جميع النحاة بقوله: "إن الحرف يدل على معنى في نفسه" وهذا خرق لذلك الإجماع.

وقد ذكر ذلك بعد أن علّق على المقرب لابن عصفور ولاشكّ في أن ابن رشيد كان على علم بهذا الخرق، لأن ابن النحاس كان ممن أثر في اتجاه تلميذه ابن رشيد عندما اتصل به في القاهرة وحضر مجالسه العلمية بل يمكن أن ننظر في هذه المسألة إلى أبعد من ذلك وهو أن ابن النحاس تأثر في هذا الرأي بأستاذ النحاة أبي الحسين بن أبي الربيع القرشي السبتي، وذلك في كتابه القوانين، فقد قال فيه: "وأما الحرف فكل ما جاء لمعنى في غيره ولا يمكن وصفه أن يسند ولا يسند إليه، ويأتي الحرف لمعنى في الاسم ومعنى في الفعل ورابطا بين اسمين ورابطا بين فعلين ورابطا بين اسم وفعل ورابطا بين جملتين وداخلا في التركيب، وزائدا وملغى". ويمكن أن نقول أن ابن رشيد كان متأثرا أيضا في هذا الرأي بابن أبي الربيع مباشرة لما كان طالبا عنده في سبتة.

ويظهر من تعريف ابن أبي الربيع أيضا أنه يحمل معنى ما عرف به سيبويه الحرف. ونلاحظ في كلا التعريفين احتياطا بما قد يثار من مثل هذه المناقشات والخلافات، وذلك ظاهر في قول سيبويه "جاء

لمعنى" ووقف عند هذا الحد. بينما زاد ابن أبي الربيع تفصيلا وشرحا، ونظر إلى الحرف في معناه المستقل وفي معناه في التركيب كما هو ملاحظ في شمولية تعريفه.

ولما سمع الأصفهاني رأي ابن رشيد فسح على نفسه بأن قال: "وهذا راجع إلى النقل عما فهم عن العرب، وقد نقله ابن الحاجب وهو معتمد فليعتمد".

وبعد هذا سكت ابن رشيد تأدبا، ولم يقنعه جوابه، وظن أن الشيخ قصد دفعه عن المكالمة، على أنه كان جميل البر حفيه وحفيله ولكن تبين له بعد ذلك أن الشيخ لم يقصد إلى ذلك.

ويظهر أن ابن رشيد لا يؤيد التقليد الحرفي للعلماء السابقين وإن كانوا معتمدين مثل ابن الحاجب وإنما يتحاكم في ذلك إلى العقل والبرهان، ولا يرجع فيه لا إلى إجماع ولا إلى سابق سند ولا قديم ملة، وإن إجماع النحويين لا يكون حجة، لأن كل واحد منهم إنما يردك ويرجع بك فيه إلى التأمل والطبع لا إلى التبعية والشرع.

وقد اعتمد ابن رشيد على رأي الإمام شرف الدين التلمساني بأن قال: "إن معنى المفهومية الإفراد، فإن التقسيم في المفرد، وهذه الألفاظ وإن افتقرت إلى الإضافة فليس ذلك إلا في فهم معناها الترتيبي التقييدي". وذلك بعد أن أورد بعض الأسماء التي لا يفهم معناها دون متعلقاتها نحو كل وبعض وتحت وفوق وغير.

ومع ذلك فقد رأى ابن رشيد أن ابن الحاجب أقر باستشكال

حد الحرف فقال بما في الوافية بنظم الكافية:

فإن يكن معناه لا في نفسه فالحرف وهو مشكل في نفسه

ورأى ابن رشيد أن حاصل تحديدهم الحرف يقتضي أنهم يدعون على العرب أنها لم تضع حروف المعاني قبل الاستعمال ثم استعملتها كما قد يظن في الأسماء والأفعال أو أكثرها ، بل وضعت الحرف مقرونا بالاستعمال ، ولغرض الدعوى عدلوا عن التصريح بهذا القدر»[١].

ويستنتج من كل ما سبق أن البحث في هذه المناظرة اللغوية عاد بنا إلى أصول الأدلة المعتمدة وهي النقل، والعقل، وما تفرع عنهما.

لقد اشترك في هذه المناظرة لغويون وأصوليون بشكل مباشر وغير مباشر من خلال النقول عنهم وهم من الأندلس والمغرب ومصر.

وكان الاتصال قويا بين نحاة سبتة ونحاة مصر من خلال تلاميذ ابن أبي الربيع القرشي الإشبيلي نزيل سبتة، صاحب التآليف الشهيرة وبين تلاميذ ابن النحاس في مصر

وما من شك في أن هذه المناظرة ترسم لنا الحركة العلمية والاتصال بين ممثلي تلك الحركة. وتقدم لنا في الوقت ذاته كيف أنه لم يكن حاجز بين علماء المسلمين رغم تباعد الأصقاع ممّا يمنع من اتصالهم وكانت الرحلة الحجازية كما نرى أهم تلك العوامل لتحقيق ذلك الاتصال ومن ثم في تلاقح الأفكار وتناقلها[٢].

---

[١]- رحلة ابن رشيد السبتي أبي عبد الله بن عمر: دراسة وتحليل الدكتور أحمد حدادي ٦٦٤/٢- ٦٦٥.

[٢]- الرحلة الناصرية ص٣٥٣ نسخة مرقونة.

المناظرة الرابعة: مناظرة في قضايا مختلفة:

وتضمّ مسائل كثيرة، منها ما هو في التفسير ومنها ما هو في الكلاميات وغير ذلك، وقد جرت في القاهرة المعزية بين الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري وبين الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد الشهير بالدردير العدوي المالكي...، شيخ مالكية مصر في زمانه قال الشيخ الناصري في رحلته:

«وقد ورد ذات يوم علينا ونحن بدرسه بيته بين العشاءين رجل يسأل عن معنى قوله تعالى ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ الآية، وعن ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾ إلى غير ذلك من الآيات التي تؤكد أن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة فأجابه الشيخ بما حضر في الآية فالتفت إليّ قائلا: هذا من معنى قول الغزالي: ليس في الإمكان أبدع مما كان، يعني أن خلق هذا العالم لا يمكن أن يكون أحسن من هذه الصفة التي هو مخلوق عليها فخضت معه في الآية وفي مقابلة الإمام الغزالي وقلت: إن كان المراد بالإنسان آدم بالخصوص وهو واحد عليه السلام أو سائر الأنبياء والبعض من غيرهم فلا إشكال، وإن أريد الجنس أو العموم فلا شك أنا نجد في الآدميين من تشكو العين النظر إليه لبشاعة خلقته ولربما تستحسن العين بعض الحيوانات كالظبا والمها وبعض الطيور على بعض الآدميين فأجاب بأن المراد بالإنسان ماهيته فقلت: الماهية الحيوانية والناطقية لكل منهما معنى جسم والدليل على أن المراد الهيئة الاجتماعية ويوضحه ﴿ثم رددناه﴾

الآية. فقال: سلمنا الجواب عن الإيراد الأول أن الذي لا تألفه النفوس وتكره النظر إليه من الناس نادر والنادر لا حكم، له وإنما الحكم للغالب، قال: أو يقال الأمر كما قلت، ولكن تراكيب الآدمي ومفاصيله وتناسق أعضائه هي المراد لا خصوص، دونه الوجه حتى يرد عليه ما قلتَ. فقلت: التراكيب والمفاصيل، منها أيضا ما هو مستهجن فقال: وإن كانت كذلك في بعضهم بتركيب الحاجب مثلا صدورا عن العينين وتركيب الأضراس والأسنان وألبان ومفاصلها من أحسن تقويم، فقلت: هذ إخبار من الحق سبحانه عن حال الآدمي قبل خروجه من البطن أو بعد فقال: كلامه تعالى قديم. فقلت: هذه عقيدة المسلمين فقلت:وهل هناك مرتبة أحسن منها؟ فقال: لا ، وهذا معنى قول الإمام الغزالي:ليس في الإمكان أبدع مما كان. فقلت: الآية ومقالة الغزالي بحسب ماأبرزته القدرة للوجود بالنسبة لما علِم المخلوق لا بالنسبة لعلم الله تعالى، إذ يمكن أن يتعلق بعلم أحسن مما أبرزه للوجود فيوجده إن شاء الله فقال: نعم هذا أحد الأجوبة عن مقالة الغزالي ولمحيي الدين ابن العربي عليها أجوبة أخرى قلت: وقد سبقه لذلك عبد العزيز بن مكي وألزمها الناس خصوصا الطرطوشي وابن العربي وغيرهما إلى هلم جرا»[1].

تثير هذه المناظرة إشكالا قديما تعاور المتكلمون على محاولة حله وبقي الإشكال كما يبدو من المناظرة قائما إلى حدود القرن الثالث عشر ومدار الكلام فيه على الخلق والإرادة وما تفرع عنهما من

[1]- رحلة الناصري ص٦١- ٦٢.

مسائل إلهية أو عقدية وأساس الاختلاف بين المتكلمين في هذا الإشكال يرجع إلى اختلاف الدليل المعتمد لديهم وهكذا نجد أن أصل هذا الإشكال تلخصه الثنائية التي كانت محور الفكر الإسلامي كله، وهي ثنائية العقل والنقل فمن قدّم النقل واحتكم إليه ليس كمن قدّم العقل وحكمه في النص.

إن الإشكال في أساسه لا يختلف عن ذلك الذي أثارته المناظرة الأولى الذي جرت بين أبي سالم العياشي الفقيه المالكي وبين أحد المعتزلة.

ولعله قد تبين أنه بالرغم من تعدد القضايا التي تثيرها هذه المناظرات وتبين المناهج الموظفة في معالجتها فإنها كلها بمثابة الروافد التي تصب في بحر واحد هو بحر الثقافة العربية الإسلامية.

وأخيرا فإن هذا التنوع والتشاكل في نفس الوقت يؤكد أن التراث العربي الإسلامي منظومة فكرية متينة الأسس، جمعت مفكري العالم العربي وعلمائه على تباين مذاهبهم وتباعد أقطارهم.

هذا وكان لعلمائنا رحمهم الله تقاليد في المناظرات إلى جانب ما هو معروف من آداب المناظرة ونستشف بعض ملامح تلك التقاليد من النص الآتي:

قال ابن رشيد رحمه الله في ترجمة علم الدين العراقي: «... وكان قد قال لي على عادة البلاد: سل أو تسأل؟ فقلت: كيف ترون؟ فقال لي: لقيت العَلَم اللورقي، فقال لي: سل أو تسأل؟ قال: فقلت له:

سلوا عما بدا لكم لئلا تقولوا: مسائل بيتت. قال: فذاكرته فلم ينصفني.

فقلت للشيخ علم الدين بن أبي إسحاق أبقاه الله، وسلوا أنتم، فقال: أسألك عن مسألة جرت اليوم في المجلس، وهي: ما إعراب قوله تعالى ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾ ».

ويفهم من هذا النص في بابه أن المناظرة كانت بمثابة اختبار للعالم، وكان غالبا ما يحضرها كبار العلماء، وفيها يتم غربلة الآراء والرجال وتتناقل المجالس بعد ذلك ما راج في تلك المناظرات، فكانت المناظرات إذن حافزا للعلماء وللطلبة على الزيادة في ضبط معارفهم، إضافة إلى ما كانت تحققه من تبادل الآراء وتلاقح الأفكارمما وردت الإشارة إليه غير ما مرة في هذا المبحث.

و قد انتهى البحث إلى النتائج الآتية :

تحديد أهم المراكز العلمية في طريق ركب الحاج المغربي و بيان أنماط التمايز بين تلك المراكز، و أشكال التواصل بين العلماء رغم تباين الأصقاع و الأزمان.

و أكد البحث أن التراث العلمي العربي و الإسلامي رغم اختلاف روافده و تباين اتجاهاته منظومة فكرية عظيمة تامة البناء متجانسة في مكوناتها و متكاملة في عناصرها ، و سرّ ذلك يرجع إلى الأصول التي ينطلق منها هذا التراث و القواعد المنهجية التي دورس بها، و بذلك كله كانت وحدة الأمة الإسلامية.

و قـد أبـان البحـث أن الإنـشادات وجـه آخـر مـن وجـوه العلاقـات بـين المشايخ، ففيها تبدو الجوانب الذاتية (و الإنسانية) و الروحية...

و اللّه الموفق للصّواب

***

الإنشـــــادات

وظائف الإنشادات:

إذا كانت المناظرات تقدم لقارئها ضروبا من التواصل العلمي بين العلماء على اختلاف مذاهبهم وأمصارهم، فإن الإنشادات توقفنا على وجه آخر من وجوه ذلك التواصل وهو «الوجه الإنساني» في أرقى مظاهره وأدق مواقفه، إن الإنشادات تصوير للعلائق الإنسانية بين شيخ وشيخ، وبين طالب علم وشيخه وقد شحذت الغربة والحنين والشوق نفوس الجميع وهذبتها الإقامة في مهبط الوحي.

وكان من عادتهم عند لقائهم، إنشاد الشعر واستنشاده، ويتخلل ذلك سماعهم ومناظراتهم وقد يرد الإنشاد عن الوداع، وقد يتضمن الإجازة والاستجازة، وكانت لهم في ذلك تقاليد مرعية كما يفهم من النص الآتي:

قال ابن رشيد: «ومما لقيناه من طلبة مصر الإمام... أبو محمد عبد الكريم بن علي... الأنصاري الشافعي، ويدعى علم الدين ويعرف بالعراقي مصري المولد والمنشأ وقال فيه بعض أصحابنا: أصله من وادي آش أحد معاقل الأندلس الشهيرة أحد المتصدرين المشهورين بالديار المصرية في علم التفسير والبيان وأصول الدين والفقه... لقيته بجامع عمرو بن العاص، وبحضرته بعض الأدباء فعرفوه مكاني، فبالغ في البر والاعتناء، وكان ذلك بين يدي سفري ليوم أو ليومين وسألته أن ينشدني شيئا من نظمه، فقال: ليس من الأدب أن أنشدك

شيئا خاطبت به غيرك وسيرد عليك مني ما يخصك...»[١].

والإنشادات تندرج تحت أغراض شعرية كثيرة، بل إنها تتجاوز الأغراض الشعرية التقليدية حيث نجد إنشادات في الألغاز وفي الاستجازة كما نجدها في باب الحنين والشوق.

نماذج من الإنشادات: نصوص وتعليقات.

ومن إنشاداتهم في الألغاز قول ابن رشيد في مجلس أبي بكر ابن حبيش بتونس ملغزا في اسم:

«ما اسمٌ فكُّه سهل يسيرُ   يكون مصغرا نجما يسيرُ

مُصحّفُه ـه في العين حسن   وقلبي عند صاحبه أسير

وكان الشيخ أبو بكر على فراشه فزحف مع ما به من ألم إلى محبرة وطرس وقلم، وكتب البيتين بخطه. وقال للحاضرين: أرووا هذين البيتين عن قائلهما»[٢].

ومن الإنشادات في باب التَّمثُّل قول أبي بكر بن حبيش: وكان قد وقف على قصيدة: مفاخر العابد وزواجر المعاند:

شعرك كالروضة في حسنه   يجمع بين الآس والورد

فافعل به إن كنت لي طائعا   ما يفعل الفارس بالبند[٣]

---

[١]- ملء العيبة ج ٥ ص ٣٣٥.

[٢]- ملء العيبة ج ٢ ص: ٨٥.

[٣]- نفسه ص: ٩٦.

وقد يستدعي إنشاد قصيدة الرد عليها على نفس الوزن والروي كما في الإنشادات الآتية :قال ابن رشيد السبتي من أبيات يخاطب بها صديقه أبا بكر بن حبيش:

وصلت أبا بكر غريبا لتونس فأقررت عينا بالقدوم لتونسا
وقابلني منك الفضول تفضلا ... إلخ فأنسيتني ذكر اغترابيَ مؤنسا[1]

وكان أبو رشيد يقصد بأبياته هذه تحريك نفس أبي بكر ابن حبيش للقول.

وكان ابن حبيش آلى على نفسه أن لا ينظم شيئا في غير توحيد الله، فقد أجاب عنه تلميذه أبو محمد عبد الواحد بن المبارك، بقوله:

وَرَدْتَ فَأَورَدتَ الْمُنَى مَا تَبَجَّسَا لَدَيْكَ مِنَ الْفَضْلِ الْذِي جَلَّ مُؤْنِسَا[2]

...إلخ.

وهكذا فإن كل إنشاد يستدعي نظيره فتتناسل الأبيات الشعرية كما رأينا وكان جواب الإنشاد أو المنشد فرض لا يجوز الإخلال به.

ومن طرائف الإنشادات أن ينشد الشيخ شيخه شعرا ليس له بل لشيخه هذا، وهذا المسلك لعله مأخوذ من العرض عند أهل الحديث، فيكون بمثابة السماع وتصح له الإجازة فيه ومن ذلك قول ابن رشيد

[1] - نفسه ص: ١٠٩.
[2] - ملء العيبة، ج ٢ ص: ١١٠

السبتي:

« وأنشدت عليه –يقصد أبا العباس بن القصير– من قيله:

يقولون تونس مصر عظيم وبين البلاد هي الظاهره

نعم هي مصر لأربابها وللغرباء هي القاهره»[1]

وكثيرا ما كانت الإنشادات تشيع بين المشايخ لما تتضمنه من ثوريات لطيفة، أو حكم بالغة، أو مواعظ مؤثرة.

وأغلب الإنشادات أبيات لا تتجاوز عدد أصابع الكف الواحدة، إلا أنه قد يقع أن يطول الإنشاد كما في الأبيات الآتية:

قال ابن رشيد في ترجمة أبي محمد الطَّبيري:

«أنشدنا لنفسه بحضرة تونس، وبمنزله منها:

محاسن أنوار تروق إذا تُجْلَى و آيات أوصاف تفوق إذا تتلى

تحلى بها المختار من آل هاشم فما ظلمة إلا بأنواره جلَّى»[2]

ولعل الباعث على الإطالة في هذا الإنشاد هو أن الأبيات كانت في الأصل في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم أراد لها صاحبها الذيوع فاهتبل فرصة لقائه بابن رشيد وأنشده إياها قصد إذاعتها في المغرب لتتأكد البركة وتتحقق الحسنات.

هذا وإن في النص السابق إشارات كثيرا ما تتردد في مثل هذا السياق، نقصد سياق الإنشادات، ومنها أن ابن رشيد يحدد بلد إنشاد

---

[1]- نفسه ص: ١٥٨.

[2]- نفسه ص: ١٦٤.

الأبيات ومكان إنشادها وذلك من آثار علم الحديث كما لا يخفى، فإنهم كانوا يحددون مكان الرواية وتاريخها، وظروفها أحيانا، ومن الإشارات التي تستوقفنا في النص كذلك قوله: لنفسه، وقد تكررت هذه اللفظة، ويعني هو أن الإنشادات قد لا تكون لنفس الشيوخ الذين ينشدونها، فقد ينشدون شعرا لغيرهم، وفي هذه الحالة فإنهم يوردون أسانيدهم فيما أنشدوه وهذا أيضا أثر من آثار علم الحديث.

وإذا كنا قد لمسنا في أساليب هذه الإنشادات وفي سياقها «على تباين» ألفاظ ذلك السياق بعض ملامح مناهج المحدثين وأساليبهم فذلك لكون أصحاب الرحلات هم محدثون، وابن رشيد أحد مشاهير المحدثين، ورحلته: «ملء العيبة» فهرسة أسانيده ومروياته في الحديث خاصة وفي غيره من العلوم عامة. ونكتفي بهذه النماذج من رحلة ابن رشيد، وما سقناه غَيْضٌ من فَيْضٍ، إلا أن عامة الإنشادات في الرحلة المذكورة لا تخرج عما أوردناه.

وننتقل إلى «الرحلة الناصرية الكبرى»، وبين الرحلتين خمسة قرون، وهي مدة زمنية طويلة تغيرت معها أحوال العالم الإسلامي، وأصاب التغيير سائر العلوم وكذا الآداب، وهكذا فلم يرد في «الرحلة الناصرية الكبرى»، وهي في حجم «ملء العيبة» تقريبا ما يداني ما في «ملء العيبة» من شعر، ومنه الإنشادات موضوع حديثنا، ولقد أورد الناصري قصائد هي أقرب إلى المنظومات منها إلى الشعر، ولا يندرج ما ساقه من شعر تحت باب الإنشادات إلا قدر يسير، وهذا دليل على قلة العناية في عصره بالشعر، وانعدام السليقة لدى

الكثيرين من معاصريه ممن راموا نظم الشعر ولا يغيب علينا بعد ذلك أن نشير إلى أن ابن رشيد سبتي، بلد الشعر، ومدرسة العربية.

وعليه فإن تتبع الإنشادات يظهر كما رأينا التطور الحاصل في الشعر العربي عامة.

وجل ما في «الرحلة الناصرية الكبرى» من إنشادات وردت في باب الإجازة والاستجازة[1].

وتلتقي «رحلة العياشي»: «ماء الموائد» مع رحلة الناصري في ندرة الإنشادات، على أن عناية العياشي بإيراد الشعر أكبر، والعياشي على أية حال من أعلام القرن الحادي عشر، وهو قرن كان الأدب في المغرب الأقصى قد نهض من كبوته لعوامل لا داعي إلى الحديث عنها في بحثنا هذا.

وفي ماء الموائد تحل المكاتبات الشعرية محل الإنشادات والفرق واضح بين اللونين، فالإنشادات شعر تتجمل به المجالس العلمية، بل إنها جزء من تلك المجالس، هذا إلى أن عنصر الإنشاد غير متوفر في المكاتبات الشعرية إلى آخر ما تتميز به الإنشادات مما سبق أن ذكرناه في طالعة حديثنا عنها.

وإذا كان لفظ الإنشادات قد يطلق على مطلق الشعر، فإن اللفظ اكتسب صفة اصطلاحية، تبلور معناه وتحدد مع مر الزمان، واختص بالدلالة على لون خاص من الشعر، له غاياته الخاصة وسياقه

---

[1]- الرحلة الناصرية الكبرى، القسم السادس، ص: ١.

المتميز، ووظائف معينة، وقد وقفنا على ذلك في موضعه من هذا البحث.

وعني القدماء بالإنشادات في تآليفهم، وحلَّوْا بها مصنفاتهم، وأخذ مؤلفو المناقب بالإنشادات، فطرزوا بها تراجمهم[١]، وقد قام الإنشاد لدى أصحاب المناقب مقام الشاهد عند اللغويين.

***

الخاتمة:

لقد تم اختيار النصوص المعتمدة في هذا البحث من رحلات حجازية هي باتفاق أهم الرحلات الحجازية المغربية وأكثرها شهرة ونفعا وإمتاعا، ونستطيع أن نؤكد كذلك أن نصوص المناظرات المقدمة هي كذلك أهم النصوص في موضوع المناظرات، وقع انتقاؤها بعد قراءة كل سطر من الرحلات الأربع المعتمدة، ثم إن الرحلات المنتقاة تغطي مساحة زمنية من التاريخ الإسلامي تمتد من القرن السابع إلى القرن الثالث عشر، ومن حيث موضوعاتها فإنها تشمل أهم روافد الثقافة الإسلامية والعربية وهي العقائد أو الإلهيات وعلوم الشريعة والعربية وآدابها.

والمشاركون في تلك المناظرات والإنشادات هم مشاهير علماء

---

[١]- انظر، «المقصد الشريف في صلحاء الريف» فقد ختم عبد الحق البادسي مؤلفه هذا بإنشادات، كل إنشاد يوافق في معناه سمة المترجم به، مقدما لتلك الأبيات، بقوله: وأنشدوا...

العالم الإسلامي، والمتأمل في نصوصها يرى أن عددا غير قليل من مشاهير علماء الإسلام كانوا المرجع في مختلف العلوم باتجاهاتها المختلفة ومشاربها المتعددة.

وقد انتهى البحث إلى:

- تحديد أهم المراكز العلمية في نصوص رحلات المغاربة الحجازية وهي: تونس والقاهرة والمدينة المنورة، وتحديد السمات المذهبية والفكرية لتلك المراكز، والرحلات الحجازية كما ذكرنا، تحدد الخارطة العلمية للعالم الإسلامي.

- تأكيد الصلات العلمية بين عامة علماء المسلمين، وقد رأينا حرص العلماء على لقاء بعضهم، وعلى المناظرة والإفادة والسماع، وينتهي كل لقاء بإجازة بعد مذاكرة وإنشادات يرويها الشيوخ عن بعضهم، فتكون إلى جانب الإجازة بمثابة هدية ثمينة يحرص الشيخ عليها أشد الحرص.

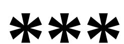
- وانتهى البحث كذلك إلى تأكيد حقيقة هامة، هي أن التراث الإسلامي المتمثل في جملة المعارف المتناقلة من شيخ إلى شيخ، رغم تنوعها وتباين أدلتها واختلاف أصولها، تعود كلها إلى منظومة فكرية قائمة البناء متينة الأسس، وهي أي هذه المنظومة الفكرية تمثل وحدة الأمة الإسلامية في تصورها الشامل للكون والحياة انطلاقا من المنظور الإسلامي.وهي وحدة لا تنفي التعدد ولا الاختلاف.

وإذا كانت تلك المناظرات هي الوجه «العقلي» إن صح التعبير،

أو لنقل إنها الجانب الموضوعي من تلك العلاقات التي كانت تنعقد بين المشايخ، فإن الإنشادات هي الجانب العاطفي أو لنقل «الإنساني منها».

ولذلك حرص الشيوخ على تقييد الإنشادات وحثوا على طلبها ، فهي التحفة أو الهدية التي يتحفه بها شيخه ويرويها عنه بسنده في تواصل حميمي يربطه بشيخه على مر الأعصار.

والله ولي التوفيق.



المصادر والمراجع

- الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الأنباري – طبعة محيي الدين عبد الحميد جزءان.
- الرحلة العبدرية، لأبي عبد الله العبدري، تحقيق محمد الفاسي، ١٩٦٨.
- الرحلة الناصرية الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري – نسخة مرقونة من تخريج بعض الطلبة في عشرة أقسام.
- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار – للسان الدين بن الخطيب – الدكتور شبانة – المطبعة الملكية – ١٩٧٢.
- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي، تحقيق الدكتور محمد بن الخوجة، طبعة ١٤٠٢ تونس – نشر منها ثلاثة أجزاء ٢، ٣، ٥.
- المقصد الشريف في صلحاء الريف لعبد الحق البادسي، تحقيق عبد الوهاب بن منصور – المطبعة الملكية ١٩٧٢.
- ماء الموائد (الرحلة العياشية)، لأبي سالم العياشي، نشرت مصورة عن طبعة حجرية مع تقديم بعناية الدكتور محمد حجي ١٩٧٧ – جزءان.
- رحلة ابن رشيد السبتي، دراسة وتحليل، الدكتور أحمد حدادي – منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ٢٠٠٣.
- المصادر العربية لتاريخ المغرب، لمحمد المنوني ج ٢ طبعة ١٤١٠ – ١٩٨٩
- الشعراء المغاربة في عصر بني مرين، للدكتور عبد السلام شقور – منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، الطبعة الأولى ٢٠٠٣.
- القاضي عياض الأديب الدكتور :عبد السلام شقور ،نشر دار الفكر المغربي، الطبعة الأولى ١٩٨٣م